نشأة علم اللغة العام بين البحث العلمي والسياسة السائدة

أ.م.د. بتول عباس نسيم

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المقدمة :

لفتت انتباهي أمور تتعلق بتأسيس علم اللغة العام وازدهاره ، من جهة ، وبالصراعات السياسية والعسكرية من جهة أخرى ، وتوافقهما تاريخا وغايات ، مما دفعني ذلك إلى البحث في هذه القضية ، محاولة فهمها كما هي ، وفي التوصل إلى ما أراه مناسبا فيها ، وهو أن علم اللغة العام في أول تأسيسه كان ثمرة الطموح السلطوي لبعض الدول الأوربية ، ونزعتهم في السيطرة على العالم ، والصراع الطويل بين الدول المتقدمة في تلك السيطرة ، والذي بدا واضحا في الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وما أفرزته من دمار شامل ، وخسائر بشرية ومادية ، يندى لها جبين الإنسانية على مر الأحقاب والأزمان .

ولا شك في أن اللغة هي إحدى وسائل السيطرة ، وتحقيق طموح الهيمنة ، إذا ما علمنا أن اللغة مقوم من مقومات الوطن ، ومفردة من مفردات المواطنة ، وهوية المجتمعات .

ويقع البحث في

- **تمهيد : يتناول تعريف علم اللغة العام .**

وثلاثة مباحث هي على النحو الآتي :

- **المبحث الأول : الدرس اللغوي الغربي في القرن الثامن عشر .**
- **المبحث الثاني : الدرس اللغوي في القرن التاسع عشر .**
- **المبحث الثالث : انتقادات موجهة لعلم اللغة العام وما خلفه من ممارسات**
- **وخاتمة : تحوي بعض التعليقات .**

هذا البحث محاولة متواضعة ، لتتبع مسيرة نشوء علم اللغة ومناقشة بعض طروحاته ، و مصطلحاته ، على وفق ما رافقها من طروحات سياسية ، عالمية ، جاعلين بنظر الاعتبار أن اللغة نتاج اجتماعي ، قد يستغل سياسيا ، وسلوك إنساني قد يحاول مصادرته . أرجو أن أوفق في عرض الموضوع بشكل متكامل ، والخروج بنتائج مثمرة ، ومن الله التوفيق .

التمهيد : التعريف بعلم اللغة :

لا شـــــك في أن علم اللغة من العلوم المهمة والفاعلة ، منذ تأسيسه إلى ما شاء الله ، لما له من إسهامات في فهم السلوك الإنساني المتمثل باللغة ، وفي إدراك نظامها ، واتساقها ، وفي معرفة كنه المعنى الذي يمثل أهم ركيزة قامت عليه ، وهو علم مستقل بمصطلحه وتصنيفه وأقسامه .

نشأ علم اللغة العام في الغرب في أواخر القرن الثامن عشر ، وآتى أكله في القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين ، ثم انتقل منه إلى باقي دول العالم جاعلين منه منطلقا للدراسات اللغوية بكل مناهجها ، ولا شك في أنه ثمرة الجهود التي بذلها علماء اللغة في أوروبا [١] .

إن تحديد أواخر القرن الثامن عشر بدايات لهذا العلم وظهوره ، وفي أوربا تحديدا ، لا يعني أن الدراسات اللغوية لم تكن موجودة في بقية أصقاع الأرض ، ولا يعنى أنه لم يكن ممتدا في الزمن الماضي لمئات السنين ، يشهد بذلك تراثنا

اللغوي الهائل ، لعلمائنا الأجلاء ، ودورهم في تحديد اللغة وما تنطوي عليه من خبايا ، فاستقروا لغتهم وقعدوا قواعدها ، ووضعوا أصولها ، كما اهتموا بلغات القبائل ، أو ما يعرف بالدرس اللهجي ، وميزوا بين ما هو لغة وما هو لهجة ، وما هو أسلوب فردي يتمثل بالكلام ، كما قدموا فهما للعلاقة بين اللفظ والمعنى ، في حال كون اللفظ أسير المعجم ، وفي حال تشكلاته السياقية المختلفة ، تكلموا بظواهر اللغة وجوانبها المختلفة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، تكلموا بكل ما يمكن أن يقال في اللغة ، حتى خلفوا وراءهم تراثا لغويا ضخما ومصنفات تملأ المكتبات ، والمؤسسات العلمية ، ناهيك عن سائر الأمم الأخرى وما خلفته من نتاج فكري عميق يتعلق بلغاتهم ، كالهنود والفرس والإغريق والرومان وغيرهم (٢) .

ولم تكن الشعوب غير الأوربية بغافلة عن أمر لغتها ، فالعناية باللغة كانت في أغلب مراكز الحضارات القديمة ، في الهند واليونان والعراق و الشام ، لكن ما تتصف به هذه المراكز أنها كانت بمعزل عمَّا نشأ عند الآخر ، لما تحتم عليها الحدود الطبيعية الجغرافية من فصل بين تلك الشعوب ، أو عزلة (٣) .

ولا شك في أن العزلة بين الشعوب قديما لا يمكن أن تكون تامة ، فالأمم تتصل فيما بينها ، بفعل الحركة التجارية والسياحية ، أو انتشار الديانات ، أو طلب العلم على مستوى الأفراد ، كل ذلك يتيح مثل هذا الاتصال اللغوي المطلوب ، ولكن ليس في الدرس اللغوي العام ، وأن حدث هذا الأثر في الدرس اللغوي فليس على وفق منهج علمي محدد وواضح .

والمعرفة كما هو معلوم عملية تراكمية ، ولا شك في أن علم اللغة الحديث نتاج الماضي ، ومادة المستقبل ، فليس من المنطق أن يبدأ علماء اللغة الحديث من الصفر ، بل من النقطة التي توقَّف عندها القدماء.

ولكن ما يميز الدراسات اللغوية في القرن الثامن عشر وما بعدها في أوربا ، ووصفها بالحداثة بحسب ما يرى اللغويون الغرب أنفسهم هو المنهج العلمي المتبع في تناول اللغة ، وطريقة تناول قضاياها المختلفة ، فجاءت نتائج البحوث اللغوية لديهم تتسم بطابع علمي مختلف عما هو في دراسات الأمم الأخرى في الأزمان السابقة .

لقد مر علم اللغة العام في مسيرة تطوره بمراحل لا بد من الإشارة إليها للوصول إلى ذروته في القرن التاسع عشر على يد اللغوي المعروف دي سوسير ذكرها هو في كتابه علم اللغة العام وهي على النحو الآتي :

١- لم يكن المهتمون باللغة في الغرب يهتمون بغير القواعد التي استمدها الإغريقيون من لغتهم والتي أخذها الفرنسيون عنهم فيما بعد ، وهي معتمدة في الأساس على المنطق بعيدة عن النظرة الصحيحة إلى اللغة وفي كونها نظاما يستحق أن يدرس لذاته ، فكانت نظرتهم قاصرة عن فهم اللغة فهما علميا خالصا ، وليس في دراستهم من هدف سوى البحث عن القواعد التي تميز الخطأ من الصواب في اللغة ، فمنهجهم كان منهجا معياريا يتناسب وما وضعوه هم من أسس استقرؤوها من اللغة الإغريقية وحتى اليونانية ، ولا يتناسب وفهم اللغة بحد ذاتها وكيف تنشأ أو كيف تحقق غايتها من التواصل ونقل الفكرة ، وما هو نظامها ، وما إلى ذلك من حقائق تحتاج إلى التوصل إليها إلى منهج أكثر دقة في نقلها من مجرد ملاحظات لا منهج لها إلى دراسة رصينة تعتمد المنهج العلمي ، كما أن مجال هذه الدراسات مجال محدود في لغة بعينها وضيق لا يستوعب كل اللغات [٤] ، وهي دراسات قليلة لا تغني البحث العلمي أصابها الركود لقرون طويلة بسبب منهجها المحدود هذا .

٢- ظهور فقه اللغة أو ما يسمى بـ " الفيلولوجيا " التي تطلق على الحركة العلمية التي بدأها " فريدريك أوكست ولف " في عام ١٧٧٧ وهي مستمرة إلى اللحظة ،

وهي لا تعدو أن تكون تصحيحا للنصوص اللغوية المكتوبة ، وشرحها والتعليق عليها [٥] ، فقد سلكوا فيهما ما يشبه منهج تحقيق النصوص ، كما اهتموا بالتاريخ الأدبي للغة الإغريقية المكتوبة أيضا ، وبالعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية التي تتضمنها تلك النصوص ، بل أنهم سخروا دراساتهم اللغوية من أجل الكشف عن هذه الأبعاد الاجتماعية والتاريخية ، وقد يعمد الدارس في هذه المرحلة إلى مقارنة النصوص اللغوية للكشف عن أسلوب كل كاتب في تلك اللغة القديمة المكتوبة ، أو لفك رموز بعض جوانب تلك اللغة الموغلة في القدم والتي لا يستعملها الغربيون في هذا العصر [٦] ، وهذه المرحلة وإن كانت قد مهدت للمنهج التاريخي ، نراها تحمل خليطا من المناهج المعياري ، والمقارن والتاريخي .

٣- التأصيل بشكل واضح لمنهج مستقل ، هو المنهج المقارن ، واكتشاف العلماء أنه من الممكن المقارنة بين اللغات للتوصل إلى نتائج مثمرة في معرفة أوجه التشابه فيما بينها والخصائص المشتركة ، وهذا الاكتشاف هو بداية " فقه اللغة المقارن " ففي عام ١٨١٦ نشر " بوب " كتابه " في النظام الصرفي للسنسكريتية " قارن فيه بينها وبين اللغات المكتوبة وهي اللاتينية والإغريقية وأشار إلى الخصائص المشتركة بين تلك اللغات في كثير من مستوياتها ، وأنها منحدرة من أصل واحد ، وهذه المرحلة كانت وليدة مرحلة سابقة اعتمادا على ما لاحظه المستشرق الإنكليزي " وليم جونز " الذي تنبه إلى أوجه التشابه تلك عام ١٧٩٤ م ، ويرى دي سوسير أن ملاحظات " جونز تلك كانت ملاحظات يسيرة تدل على أن اللغويين لم يدركوا أهمية مقارنة اللغات قبل ١٨١٦ م ، فاللغوي بوب في كتابه المشار إليه نجده أدرك بعمق أهمية تلك المقارنات وفي أنها تصلح تأصيلا لعلم مستقل بذاته [٧] .

٤ــ ومع كون اللغويين توصلوا إلى منهج واضح ومستقل أدركوا بعدها أن هذا المنهج يكون مناسبا لتفسير لغة باللجوء إلى لغة أخرى ، أو تفسير صيغة من لغة

بصيغة من لغة أخرى ، من دون الإفادة من تاريخ اللغتين المقارنتين وما حدث فيهما من تطور وتغيير وللتوصل إلى حقائق لغوية مهمة بينهما ، ، فهذا المنهج لم يفلح هو الآخر في فهم اللغة وطبيعتها بشكل علمي دقيق ، كما أنه يعكس جانبا واحدا من حياة اللغة وكينونتها لا كل جوانبها ، و تنبه اللغويون فيما بعد إلى هذا الأمر ، فزاوجوا بين المنهج المقارن والمنهج التاريخي ، فكان علم اللغة لديهم صحيحا ، لأنه يضع الدراسات المقارنة في مكانها الصحيح ، ولا سيما في دراسات اللغات الرومانسية (الفرنسية والإيطالية ، والاسبانية والبرتغالية والرومانية) واللغات الجرمانية ، ذلك أنهم توافرت لديهم ظروف جعلت درسهم الغوي أقرب إلى العلم منه إلى الحدس والتخمين ، بما تمتعوا به من معرفتهم باللغة اللاتينية الأم وبما توافر لديهم من نصوص لاتينية مكتوبة ، ساعدتهم على اكتشاف تطور اللهجات الرومانسية المتعددة بطريقة أفضل وبشكل تفصيلي ، هذه الدراسات التي بينها " دياز " في كتابه " قواعد اللغات الرومانسية إلى الأعوام ١٨٣٦ ــ ١٨٣٨ م " ، والتي تلته دراسات كثيرة عمقت من التزاوج بين المنهجين التاريخي والمقارن ، مما حقق ذلك نتائج كثيرة تصب في خانة العلم اللغوي الدقيق [٨] ، (فكان لا بد من إعادة النظر إلى اللغة ودراستها على أساس جديد تتناول جنس اللغة البشرية على الأرض بوصفها نتاجا جماعيا تشترك فيه الجماعة ، وأن تفرد بالدراسة ، وينظر إليها نظرة مجردة لأجل وصفها وصفا دقيقا بعيدا عن أية نظرة أخرى خارجة عن ذاتها وحقيقتها [٩] .

إن ما يعنينا من هذا العرض لمراحل نشوء الدرس اللغوي هو الوصول إلى تأسيس علم اللغة العام ، والإعلان عن اكتمال مدرسة سميت في ما بعد بالمدرسة التركيبية أو (البنيوية) في محاضرات أشهر لغوي في العصر الحديث " فردينان دي سوسير " المولود في جنيف عام ١٨٥٧ م والمتوفى عام ١٩١٣ والتي نشرت بعد وفاته بثلاث سنوات في عام ١٩١٦ م [١٠] .

ويمكن عد اللغوي " دي سوسير " بنظر اللسانيين المحدثين مؤسس علم اللغة العام ، وواضع المنهج العلمي الدقيق بعد كل المحاولات اللغوية السابقة في التوصل إلى المنهج السليم في التعامل مع اللغة ومحاولة فهم طبيعتها ، وظواهرها بشكل علمي ، فتوصل إلى المنهج الذي يراه في وسط الفوضى العارمة التي لحقت الدرس اللغوي ، وعدم وضوح الرؤيا من غياب منهج علمي دقيق يفسر اللغة بكل ظواهرها ومستوياتها (إن مساهمة سوسور تشمل أسلوبا فكريا بأكمله ، وإطارا كاملا من الاهتمامات والقيم ... تدور ضمنه اليوم جميع المناقشات الأساسية ، ولا يشذ عن ذلك إلا بعض الموضوعات اللغوية الثانوية) [١١] .

لقد أقام دي سوسير دراسته اللغوية على مبدأ التزامن في فهمه اللغة ، و تمييزه بين اللغة والكلام ، كما نظر إلى اللغة بوصفها نظاما أو (منظومة تنطوي على سلسلة من العناصر ، التي يؤثر بعضها في البعض الآخر ، من خلال عملها ، الذي يستند إلى سلبية عنصر تجاه عنصر آخر ، إنه نظر على أساس أنها كيان مستقل لا يمكن تجزئته وعزل عناصره ، ومن ثم البحث في هذه العناصر في عزلتها التاريخية التي تقودنا إلى تغريب ما هو لغوي أعنى النظر إلى هذا العنصر أو ذاك وتقلبه وتحولاته التاريخية ، وكأنه عنصر متفرد ، وليس منتميا وهو شرط لغويته) [١٢] ، فدي سوسير ينظر إلى اللغة الحية نظرة شمولية بعيدة عن التأويلات والاحتمالات بل بجعل اللغة ظاهرة تحسم نتائجها من خلال وصفها وصفا دقيقا ووضع مقدمات توصل إلى نتائج منطقية رياضية لا تقبل الشك ، أو الاحتمال ، كما أشار دي سوسير إلى وجوب النظر إلى اللغة من زاويتين الأولى تمثل المحور الأفقي أو ما عبر عنه بالمحور السكوني أو التزامني ، الذي ليس للزمن فيه أي دخل ، وهو ما يتعلق بالمنهج الوصفي ، والأخرى تمثل المحور العمودي وهو ما عبر عنه بالمحور الحركي ، أو التعاقبي ، الذي يقوم على أساس التغير الزمني وهو ما يتعلق بالمنهج التاريخي [١٣] .

لقد ركز دي سوسير أكثر ما ركز على اللغة الحية المنطوقة التي يصح معها المنهج الوصفي بنظره ، وأن هذا المنهج يوصل أكثر من غيره إلى نتائج علمية مثمرة ، وأن المنهج التاريخي هو منهج يساعد على فهم الظاهرة الحية ، ومراحل تطورها ، فالدراسة التاريخية تصب أيضا في فهم اللغة الحية المنطوقة ، بما تقدم بين يديها من معلومات تفسر وجودها على صفة دقيقة من الصفات ، أو على حقيقة علمية من الحقائق ، (ولذلك رأينا أن ثمة علوما مختلفة تدرس معها بوصفها متممات للبحث اللغوي ، فكان من ذلك البحث اللغوي التاريخي ، والبحث اللغوي النفسي ، والبحث اللغوي الاجتماعي ، والتربية وغيرها) [١٤] .

هذا أهم ما يمكن أن يقال عن نشأة علم اللغة العام في الغرب في هذه العجالة وكما ورد في محاضرات " دي سوسير " نفسه ، وما سبقه من محاولات جادة للتوصل إلى المنهج السليم في دراسة اللغة ومعرفة طبيعتها وخصائصها ، أو وضع تعريف دقيق لها ، ولم تكن نتائج دي سوسير التي حصدها هو ومن عاصره إلا حصيلة دراسات متواصلة سابقة ، ومحاولات جادة في الدرس اللغوي ، وإن لم يكن هذا الدرس قد اكتملت أدواته ، واستقرت مناهجه .

لكن البحث الذي بين أيدينا معني بالخلفية السياسية التي كانت وراء كل تلك الدراسات ، والتي كانت قليلة جدا في حال بعدها عن السياسة السائدة من إحكام سيطرة الغرب على الشعوب الأخرى ولا سيما الشرقية ، فكانت دراساتهم اللغوية فردية ، متواضعة تمشي على استحياء ، لا ترقى إلى ما ارتقت إليه من حيث المنهج والنتائج ، لاعتمادهم على مدونات لغوية محدودة ، تتعلق بلغة مندثرة لا يجد اللغوي الغربي صداها إلا بين طيات الكتب المنسية ، ولانعدام تواصل اللغويين الغربيين بسائر الشعوب الشرقية ، فلما فتح الاستعمار لهم أبواب البلدان الشرقية على مصراعيها ، وسطا على الكنوز اللغوية القومية لكل بلد شرقي وما تحمل من أفكار ، ونظريات ، و من تعريف وتوصيف ، استباحوا تلك الأفكار وانتهكوا تلك النظريات ، وجيروها لأنفسهم في أغلب الأحيان ، إلا ما كان

من اعتراف هذا المســـــتشرق أو ذلك بفضل اللغة الشرقية هذه أو تلك على الدرس اللغوي الغربي ، فأثرى الدرس اللغوي الغربي أيما إثراء ، وازدهرت حركته أيما ازدهار ، فكان علم اللغة العام .

على أن علم اللغة العام هذا ، لم يكن مجرد نتاج فكري مستباح ، أو تلاقح دروس التقت في ظروف القهر والاستعباد ، بل هو نتاج دعوات متتالية ، ونداءات متعالية ، لمحو لغة البلد المستضعف ، وإحلال لغة القوي المتسلط محلها ، أنشئت من أجلها المؤتمرات ، وأقيمت لتحقيقها الندوات [١٥] ، فكان علم اللغة العام الذي نشأ من حيث يدري أو لا يدري لتلبية هذه الدعوات ، ولسماع تلك النداءات ، ولينظر إلى اللغة مجردة من قوميتها ومن قيمومتها ، من تاريخها ومن تراثها ، من خصائصها ومن خصوصياتها ، من فقهها ومن تفقهها ، لينظر إليها في ركاب لغة عالمية واحدة ، تفرض قيمومتها على القوميات ولغاتها ، وتفرض حاضرها الســـــلطوي على الحاضر الأضعف وتمحو تاريخه، وتفرض خصائصها على كل الخصوصيات ، وبفقهها بلغتها وبذاتها وحدها ، يســـــلب فقه الشعوب بلغتهم وبذاتهم .

و لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتحدث عن نشأة علم اللغة العام ما لم تربط تلك النشأة بالحراك السياسي المتفاقم آنذاك ، والحركات الاستعمارية التوسعية المحمومة .

صحيح أن كل إنسان حتى البدائي يفكر في كل ما حوله ، ولا سيما بلغته اللصيقة به ، بدافع الفضول أو حب الاستطلاع ، وربما بدافع الوعي بالذات الناتج عن ملكته العقلية التي تستدعي التفكير ، فكان نتيجة ذلك أن أسس للعلوم المختلفة الناشئة من فكره الفلسفي ومن تأملاته العميقة ، ومن هذه العلوم التي نشأت قديماً علم اللغة ، التي يشعر بأهميتها ، فهي أداة التواصل التي تميزه عن

غيره ، والتي تخلّد فكره ، وتحفظ آثاره [١٦] ، ولكن هذا الحراك اللغوي الطبيعي غذته النزعة السلطوية السائدة بما تملك من إمكانيات مؤسساتية ضخمة ، وبما تبذل من جهود متضافرة ، ومن دعوات للتوصل إلى لغة عالمية واحدة تسود الأمم ، ظاهرها علمي بحت وباطنها استعماري نفعي ، فخلقت جوا من الحراك العلمي مليئا بأسباب الدرس ومعطيات البحث ، فكان أن نتج علم اللغة العام من تضافر تلك الجهود المؤسساتية والفردية .

إن الفضل الأول لنشأة علم اللغة العام يعود إلى التواصل السلبي لتلك الحضارات المتمثل بالحروب والصراعات ، وفرض هيمنة الأقوى على الأضعف ، وجعل لغة البلد المهيمن عليه مفتاحا لفتحه والهيمنة على مقدراته ، بما تتميز اللغة من حمولة فكرية وتراثية لهذا البلد أو ذاك .

هكذا أرى علم اللـــــغة العام بما رافقه من تاريخ دموي ، ومن انتهاك حضاري، ويمكن أن نطل إطلالة سريعة على بعض الانجازات اللغوية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لندرك ظروف نشأة علم اللغة العام في ظل خيمته السياسية ، واستغلال السياسيين لتلك النظريات في تحقيق ما رسموه ، وما خططوا له .

إن إدراك ساسة الغرب المحتل بأن اللغة هي مفتاح ما يصبون إليه من هيمنة عسكرية وفكرية ، جندت لغويين إلى سبر لغة البلد المحتل ، وحفزتهم على إحراز نتائج علمية لم تنشأ لو لم يكن دافعه دافعا استعماريا توسعيا ، ولو لم يكن عملا مؤسساتيا كبيرا ، هيأ أرضية خصبة للغويين عامة إن يدلو كل بدلوه ، حتى أصبحت الدراسات اللغوية على ما هي عليه اليوم . (لقد كانت دراسات المستشرقين في بدئها تواكب الحملات الغازية ، وتوفر لهم ما يحتاجون إليه من

قضايا لسانية أو تاريخية أو عقائدية ، لكن جملة الدراسات العلمية اتجهت إلى ما هو أقرب إلى البحوث الموضوعية) [١٧] .

وأؤكد أن الدافع السلطوي وراء ذلك ، إذ لو لم يكن هذا الأمر هو وراء هذا التطور المذهل ، ولو كانت مسيرة علم اللغة مسيرة طبيعية ، لتوصل اللغويون إلى هذه النتائج قبل القرن الثامن عشر ، ولكن تسخير اللغة لدوافع استعمارية ، جعلت أمامهم تساؤلات لم تكن مطروحة من قبل ، وأن الإجابة عنها توصلهم بالضرورة إلى لغة عالمية واحدة هي لغة الأقوى ، وتكسح أمامها كل لغة ، أو تضرب بها عرض الحائط ، ولا شك في أن ذلك مظهر من مظاهر الاحتلال وتمهيد للسيطرة العسكرية والسياسية ، ولا سيما إذا ما جعلنا في نظر الاعتبار أن اللغة مقوم من مقومات الوطن ، وأن بمحوه يمحى الوطن وتمحى المواطنة .

ولعل من إفرازات هذا الدافع السلطوي المتعالي الفكرة التاريخية للجنس الآري والتي أثّرت كثيرا في الحضارة الغربية ، ولا سيما في أواخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين ، والتي ترى أن متحدثي اللغات الهندية الأوروبية الأصليين يمثلون وخلفاؤهم حتى اليوم الحاضر جنسا سائدا أو جنسا فرعيا سائدا من الجنس القوقازي [١٨] .

وعلى الرغم من ظهور مصطلح الجنس الآري في بادئ الأمر لوصف مجموعة عرقية ولغوية ، نجد هذا المعنى قد ولد تيارات عديدة من الكراهية العنصرية ولا سيما خلال العهود النازية ، بما في ذلك الأفكار الداعمة لتفوق البِيض ، لذلك نجد لمدة سنوات قبل أن يصبح " أدولف هتلر " مستشارًا لألمانيا ، كان مهووسًا بأفكار عن العنصرية ، حتى نشر في أحاديثه وكتاباته، ما يعتقده عن "التطهير" العرقي وعن سيادة "السلالة الألمانية"، وهو ما أطلق عليه "سيادة الجنس الآري " و جزم بأن سـلالته يجب أن تظل نقية كي تسـتولي على العالم يومًا ما [١٩] .

المبحث الأول : الدرس اللغوي الغربي في القرن الثامن عشر :

لقد ظهرت في القرن الثامن عشر نظريات لغوية جديدة ، وركزوا على آخرى ظهرت في عصور سابقة ، كلها تصب في ضرورة سيادة العالم لغة عالمية واحدة ومحو بقية اللغات ، ولعله من أبرز هذه النظريات :

١- نظرية التطور الطبيعي : وهو ما سمي بـــالاتجاه العلمي وظهر في ألمانيا متأثرا بجهود شلايشر ١٨٢١ ــ ١٨٦٨ م ودعوته لتطويع العلوم الطبيعية ومناهجها في خدمة علم اللغة العام ، وتفسير التغير بقوانين واضحة ، متأثرا بالترجمة الألمانية لكتاب أصل الأنواع لدارون [٢٠] ، والذي يقتضي بكون اللغة كائنا حيا يمر بأطوار تاريخية متعددة ، فهي كالكائن الحي يولد وينمو ويهرم ثم يموت ، كما أن البقاء للأصلح فما لا يملك من مقومات العيش أو الدفاع عن النفس أو التكيف مع الطبيعة مصيره الزوال والفناء سريعا .

وقد تعزز هذا الاتجاه بنشر النحاة الجدد نظريتهم بعد عشر سنوات من جهود شلايشر في هذا الأمر أي في عام ١٨٧٨ م في لايبزغ معقل الاستشراق الألماني فأرادوا منها تأسيس عملهم في علم اللغة التاريخي ــ المقارن في إطار العلوم الطبيعية [٢١] ، وأهم ميدان لهم علم الأصوات ، وعلم اللهجات [٢٢] ، وهذا ما مهد لكثير من اللغويين بالقول بموت هذه اللغة أو تلك لعدم امتلاكها مقومات الديمومة والاستمرار ، وأن هناك ما هو أصلح في البقاء ، ولا شك في أنها لغة المستعمر التي ترجمت على أرض الواقع في القرن التاسع عشر بإعلان موت اللغات وهي حية ترزق .

٢- نظرية منطقية اللغة ، فقد ركز اللغويون الغرب في القرن الثامن عشر تحديدا وحتى قبله بتأثير السياسة السائدة على فكرة منطقية اللغة ، أي محاولة إخضاع اللغة لقواعد المنطق والعقل ، وأثيرت بشأن ذلك تساؤلات كلها تصب في خانة اللغة العالمية الواحدة والمهيمنة على بقية اللغات :

هل تتشابه جميع اللغات في بنيتها ؟

هل يمكن أن تشترك القواعد بين جميع اللغات ؟

هل يمكن أن تكون القواعد التي تحكم اللغات واحدة ؟

هل تخضع اللغة لمنطق الحياة ؟

إن فكرة منطقية اللغة قائمة على إمكانية بناء نظرية نحوية جامعة تناسب جوهر اللغات جميعا ما دام البشر يجمعهم منطق واحد ، وتفكير واحد ، وقد تبنت هذه الفكرة مدرسة " بور رويال " ١٦٦٠ ، واستمر هذه التيار المنطقي العقلانِي حتى القرن الثامن عشر ولاسيما في فرنسا ، وحتى ذلك التاريخ كان اللغويون يعتدون باللغة المكتوبة .

ومن اللافت للنظر أن اهتمام الإنكليز انصب فيما بعد على اللغة المنطوقة ، ولم تعد الدراسات اللغوية في اللغة اللاتينية ونصوصها المكتوبة محط اهتمامهم كما كان سابقا ، لفرض القواعد النحوية الجامعة على اللغات المنطوقة الحية ، وإخضاعها لقانون اللغة العالمية فيما بعد [٢٣] .

٣-نظرية أصالة اللغة : فقد تعالت فيما بعد فكرة إن اللغة الأكثر فاعلية في جعلها اللغة العالمية السائدة هي اللغة التي تجمع بين الأصالة واستمرارها في البقاء والتداول ، فبدأت في أوربا في القرن الثامن عشر حقبة جديدة سميت بـــ(حقبة التأمل في أصل اللغة) ، فبدأ العلماء يتأملون في أصل اللغة ، وظهرت فرضية تقول بقدمِ اللغة العبرية ، سادت هذه الفكرة طويلاً في أوربا ، وهذا ما يؤهلها لأن تكون اللغة العالمية السائدة ، وربما هذا ما أثار حفيظة هتلر في عصره ، ورفضه

تلك الدعوات ــ على قدمها وسبقها عصره ــ والدفاع عن فكرة العنصر الآري ووجوب سيادته على العالم بلغته ومقوماته .

إن القرن الثامن عشر عصر مشحون بالنظريات اللغوية التي تخدم الفكرة السلطوية السائدة ، وفي إحساس الغرب في أنهم الأفضل وفي أن لغتهم هي التي يجب أن تسود العالم .

لقد ارتبط الدرس اللغوي الحديث باطلاع الغرب على اللغة السنسكريتية في ذلك القرن ، كما أشرنا سابقا ، والذي صور للدارسين ولا سيما السذج ، بأنه اكتشاف عظيم وانجاز كبير يضاهي اكتشاف اللغة السومرية أو المصرية القديمة ، بفعل التنقيبات أونبش الآثار ، وكأنما اللغة السنسكريتية لم تكن موجودة في هذا العصر يتداولها فئة كبيرة من الهنود ، ويستعملونها في طقوسهم الدينية عند الهندوس والبوذيين واليانيين ، إن عبارة (اكتشاف اللغة السنسكريتية) عبارة توحي بأن اللغة ميتة ، مطمورة ، أو مندثرة ، وأن الغرب انجزوا حدثا عظيما في إخراجها من مطاميرها ، ومندثرها ، ولا تعكس أنهم لم يطلعوا عليها وهي حية ترزق فيما قبل هذا العصر ، فتعكس جهلهم بها ، وقصورهم في الاندماج بعلوم الشرق اللغوية وغيرها ، فلم يبتعدوا عن محيطهم أبعد من محيط اللغة الرومانية والإغريقية .

ولكن مهما يكن فإن اطلاعهم هذا على اللغة السنسكريتية في الهند أحدث تحولا مهما في الدراسة اللغوية في أوروبا [٢٤] ،

هذا فضلا عن حركة ترجمة التي ازدهرت في أوربا في القرن التاسع عشر [٢٥] ، والمصاحبة للأعمال العسكرية في بقاع الأرض ، والتي أولت الأعمال اللغوية الهندية عناية خاصة ، ولا سيما المتعلقة باللغة السنسكريتية ، مما ساعد ذلك اللغويين الأوروبيين في دراساتهم اللغوية ، وأتاح لهم فرصة معرفة المزيد من الحقائق عن الظاهرة اللغوية ، يقول " بلومفيلد " في فضل الهند على

الدراسات اللغوية الأوربية ، وأثرها في علم اللغة الحديث : (لقد كانت الهند صاحبـــــة الفضل في إثارة معلـــومات أدّت إلى الأفكـــــار الأوروبية الحديثة في اللغة) [٢٦] ، ويقول أيضا: (وقد وضع النحو الهندي أمام أوروبا أول مرة وصفا كاملا دقيقا شاملا للغة مؤسسا على الملاحظة العملية ، لا على الافتراضات النظرية) [٢٧] ، كما بين " لورد " أثر جهود النحاة الهنود في تحليل الأصوات اللغوية وتنظيمها ، وفي وضع النظام النحوي: (وبغير تأثير هذه الدراسات في علماء اللغة الأوروبيين الذين عاشوا في أوائل القرن التاســـع عشر، ما كان يمكن أن يظهر علم اللـــغة المقارن أو يولد) [٢٨] ، وقد اعترف اللغوي الإنكليزي " جون فيرث " بفضل الهنود والعرب في مجال الدراسات الصوتية بقوله : (لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين : العربية والسنسكريتية) ([٢٩]) ، و بِرجشتراسر بقوله : (لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلاَّ قومان هما العرب والهنود) [٣٠] .

لقد مر الدرس اللغوي في أوربا بمراحل متعددة قبل أن يصل علما مستقلا باللغة ، فهذا الدرس كان تقليديا يجري أصحابه فيه على نمط من كان قبلهم في العصور الأولى من تاريخ النهضة الأوربية ، ثم أفادوا من حركة الترجمة من اليونان والرومان في العصور الوسيطة ، واستحدثوا مناهج واستحصلوا معارف ، حتى ازدهر هذا الدرس لديهم ازدهارا كبيرا ، وحتى مر بأدوار ومراحل [٣١] .

لقد كانت الدراسات اللغوية في وقت سابق (بدأ من القرن الثامن عشر) في أغلبها ــ ولا سيما لدى المستشرقين الأوائل تعنى بالدرس اللغوي غير الغربي ، بدافعين لا ثالث لهما [٣٢] :

الأول : دافع تبشيري بحت في محاولة معرفة خصائص تلك اللغات لفهم النصوص الدينية غير المسيحية ، واستيعاب مضامينها ، ووسائلها ، ومن ثم

الولوج إلى كتبهم المقدسة والتشـــــــكيك فيها من خلال الدس والتدليس ، ونسبتها إلى التخلف والانحطاط ، وتنفير معتنقيها ، وإبعاد مريديها ، .....

الآخر : دافع معرفي بحث ، في محاولة طلب علوم الشرق والتزود بالمعرفة الحقة ...

ثم جاءت مرحلة أخرى تعدت مسألة التبشير السلمي لتتبنى الخيار السياسي العسكري ، لفرض سيطرتها على سائر الدول ، ولتدعم هذا الخيار بقضايا علمية ، ولتسوغه بدراسات لغوية تحقق طموحهم المنشود [٣٣] (هكذا بدأت دراسات العربية لخدمة التبشير وتطورت في القرن التاسع عشر لخدمة البحث العلمي في اللغة وازدهرت في القرن العشرين في صورة أبحاث عن اللهجات وأطالس لغوية ودراسات عن الفصحى ومعاجم تدخل العربية طرفا ودراسات عن العربية الفصحى في العصر الحديث ، وهذا كله إلى جانب استمرار الاتجاه العلمي لتأليف كتب تعليمية) [٣٤] .

المبحث الثاني : الدرس اللغوي في القرن التاسع عشر (قرن الاستعمار) :

شهدت أوربا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وبدايات القرن العشرين تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية كبيرة ، ومن بين هذه التطورات زيادة الحاجة إلى الأسواق للمواد الأولية الضرورية للتصنيع ، مما أدى ذلك إلى ظهور تنازع حاد بين الدول الأوربية نفسها للاستحواذ على أكبر قدر ممكن من البلدان الغنية المكتشفة ، بعد أن كانت السيادة السياسية والهيمنة الاقتصادية من حصة البرتغاليين والهولنديين فأخذت (تظهر في الوجود قوى أوربية أخرى منافسة ومتنافسة كالبريطانيين والفرنسيين والألمان والروس والأميركان ، وكانت

السيادة خلال هذه الفترة إلى بريطانيا بالدرجة الأولى التي استطاعت استغلال واستعمار المناطق الغنية في المنطقة العربية ثم فرنسا وألمانيا) [٣٥] .

و بانتهاء الحرب العالمية الأولى كانت أوربا قد استعمرت ٨٥ % من الأرض ، (والقول ببساطة بأن الاستشراق الحديث يمثل جانبا من جوانب الامبريالية والاستعمار معا ليس مثار خلاف كبير) [٣٦] .

وقد كان الغرب ينظر إلى الشرق على أنه عاجز عن استغلال خيراته ، وامتلاك مقدراته ، وأنه لا يستحق ما يتمتع به من خير وغنى ، حتى تنافسوا على ما اصطلحوا عليه بـــ (المسألة الشرقية) ، وحتى أطلقوا على الشرق تسمية (الرجل المريض) الذي لا بد من أن تنهب أراضيه وأن تستباح ممتلكاته [٣٧] ، ومن تلك المقدرات لغته الشرقية ومحاولة مصادرتها كليا .

وقد تنبه علماء العربية لذهاب اللغة بذهاب دولتها سابقا ، فحاولوا جاهدين صون اللغة من المخاطر المحدقة بها على مر العصور فهذا ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـــ) تنبه إلى أثر سياسة العدو السلبية في لغة الأقوام المقهورة عسكريا أو سياسيا بقوله : (إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم من ديارهم ، واختلاطهم بغيرهم ، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها ، أما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم ، واشـــتغلوا بالخوف والحـــاجة والذل وخدمة أعدائهـــم فمضـــمون منهم مـــوت الخواطر ، وربما كان ذلك ســـببا لذهاب لغـــتهم) [٣٨] .

وإذا كان القرن الثامن عشر قرن التنظير اللغوي المؤسس للغة عالمية يتوج الغرب بها دراساته للغات المنهوبة ، والتراث المستباح في ظل الغزو والتبشير ، من جهة والبحث العلمي الخالص من جهة ، فإن القرن التاسع عشر عصر تطبيق لتلك النظريات ، ولما كانوا يصبون إليه من محو لتلك اللغات وإحلال لغة عالمية اختاروها ، أو ابتدعوها ، ترجمة لسيادتهم ، وإمعانا في تسلطهم ، وليبقى الشرق

بحاجة ماسة دائمة للغرب ، من خلال (التجويع الثقافي) كما عبر عنه الدكتور مالك المطلبي ([٣٩]) ، وبجعله سوقا يستهلك ما يصدر إليه من نفايات فكرية ، وليكون حق المنتج على المستهلك حاضرا دائما لا ينفك من رقبة الشرق .

ويمكن أن نلحظ ثمار الدرس اللغوي المرتبط بالجانب السياسي والعسكري في القرن التاسع عشر والذي أصل له في القرن الثامن من خلال النظريات المذكورة وغيرها في جملة مظاهر ، لعل أهمها ما يأتي :

١ـــ ازدهار الدراسات المقارنة المكثفة والناجِحة ، التي تناولت اللغات المنتمية إلى الأُسرة الهندوأوروبية ، بشكل أكبر من اللغات المنتمية إلى الأُسر اللغوية الأخرى ، على الرغم من أنها كانت معروفة جيداً لهؤلاء اللغويين في عصرهم ، و لم تحظ باهتمامهم إلا في نهاية القرن التاسع عشر ، وهو أمر طبيعي ما دام الدرس المقارن ارتبط باللغة السنسكريتية التي وجدوا بينها وبين لغاتهم الغربية تشابها واضحا ، فلغتهم أولى بإخضاعها إلى الدرس اللغوي من غيرها من اللغات ، أو من الأسر اللغوية الأخرى ولا سيما أن مبدأ السيادة المنشودة يتناسب وتكثيف الدراسة الحقة للغتهم المتداولة .

٢- تحريم النطق باللغة القومية الحية أو الكتابة بها ، لتتحول من لغة منطوقة إلى مجرد لغة مكتوبة منسية بين طيات الكتب القديمة ، فقد سادت لغات غربية محتلة على كثير من اللغات القومية المستعمرة بشكل واضح وبفعل السياسات المختلفة ، بل الإعلان عن اللغة القومية بأنها لغة أجنبية عن البلد ، يحرم تداولها بين أفراد الشعب ، فعلى الصعيد العربي صدر في عام ١٩٣٣ (قرار رسمي بمنع اللغة العربية في القطر الجزائري إذ نص على " أن اللغة العربية تعد لغة أجنبية ") [٤٠] ، وفي أفضل الأحوال جعلها اللغة الثانية في البلد ، وفرض لغات البلدان المتحضرة بزعمهم على البلدان المحتلة المتخلفة ، فلزم أن

كل بلد لا بد من أن يتكلم بلغة المحتل ، ففرضت الفرنسية في الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا ، والإيطالية في ليبيا ، والإنكليزية في العراق ومصر والشام [٤١] (وقد وجه الاستعمار الفرنسي حملته إلى اللغة العربية في المغرب العربي منذ مطالع الحماية والاحتلال) [٤٢] ، وفي الجزائر لم تعد اللغة العربية لغة الكتابة إلا إضمارا منذ سنة ١٨٣٠ م ، قال " جان كوهين في الجزائر : " فلم يعد لها عمليا كتب أو جرائد تطبع بتلك اللغة وبذلك تراجعت إلى قانون اللغة غير المكتوبة) [٤٣] ، وكذلك فعل البريطانيون (وما أن احتل البريطانيون مصر سنة ١٨٨١ حتى كانت الكلية السورية الإنجيلية في بيروت قد حولت التدريس من العربية إلى الإنكليزية [٤٤] .

٣- تأجيج الصراع بين القوميات في البلد الواحد ، كما في إثارة مشكلة اللغة الأمازيغية في المغرب والجزائر وخلق صراعات اجتماعية محتدمة في سبيل إضعاف لغة البلد الرسمية ، وتفتيتها ، وتفتيت البلد عموما ومن ثم السيطرة عليه وفرض الهيمنة . [٤٥]

٤- دعوات لتفتيت اللغات القومية ، بحجة أنها قاصرة عن استيعاب لغة العلم والتطور ، أو أن الخط العربي مضطرب ولا قاعدة ثابتة له ، وإبدالها باللهجات العامية واستعمالها في الصحف والمدارس وكل مؤسسات الدولة ، وقد أفلح الغرب في مواضع وأخفق في أخرى ، ومن تفتيت اللغات دعوة الإنكليزي " ولهام سبيتا " في عام ١٨٨٠ م ــ الذي ألف كتاب قواعد اللغة العامية في مصر ــ إلى ترك اللغة الفصيحة والكتابة بالعامية تيسيرا للمتعلمين ، كما اقترح ترك الكتابة بالحرف العربي لصعوبته ، ودعوة لويس عوض إلى الفصل بين لغة القرآن ولغة الكلام بجعل القرآن يقتصر على الصلاة وطقوس العبادة [٤٦] ، وفي عام ١٨٨١ أعلنت مجلة " المقتطف " بتأثير من الإنكليز إلى العامية وإلى كتابة العلوم بلغة الحديث اليومي ، وتوالت جهود الإنكليز [٤٧] بادعاء قصور اللغة المحلية عن استيعاب العلوم والحضارة ، وكدعوة المستشرقين إلى تفخيم اللغة الدارجة منهم (ماسنيون

عام ١٩٢٦) و (كولون عام ١٩٣٧) وكـــلاهما دعا إلى اللغة العامـــية المغربـــية [٤٨] .

٥- التصريح بموت اللغات القومية وأنها لا تحمل خصائص الديمومة والاستمرار ، والعمل على ذلك ما أوتي الاستعمار من قوة ، وقد أفلح في مواضع أيضا ، وأخفق في أخرى ، كما فعل المهندس الإنكليزي " ولككس " الذي سيطر على الأزهر في سنة ١٨٩٣ ، وألقى محاضرته التي أعلن فيها موت اللغة العربية كما ماتت اللاتينية داعيا إلى التأليف بالعامية [٤٩]

٦- المطالبة بتوحيد اللغات وابتداع لغة عالمية مصطنعة موحّدة ، يتفاهم بها البشر ، وتتواصل بها المجتمعات والشعوب ، تفرض على كل الأمصار والبلدان شرقا وغربا ، ومحو كل ما هو وطني ومحلي ، جاعلين ذلك مطلبا إنسانيا ضروريا ، وحاجة ثقافية ملحة ، فظهر الدرس اللغوي محتدما ، واهتم به الغرب اهتماما جنونيا دؤوبا ، يفوق الاهتمام به في العصور السابقة ، فعلت دعوات لتحقيق هذه اللغة الموحدة ، منـــها لغة " الاســـــبرانتو " التي وضعها العالم اللغوي " لاروس منهـــوف [٥٠] في كتاب نشر في عام ١٨٨٧ م ، الذي لم يصرح به ابتداء ، بل بقي متنكرا باسم الدكتور " اسبرانتو " لوقت طويل ، ولم يكشف عن اسمه ، حتى أصبح لهذه اللغة المصطنعة مريدون ومؤيدون ، تلك اللغة التي كونها من اللغات الأربع (اللاتينية ، والإنكليزية ، والفرنسية ، والإسبانية) وهي واحدة من (٣٢١) لغة مقترحة ، لتكون اللغة الموحدة ، وقد جعلت أداة للتفاهم في كثير من المؤتمرات في ذلك الوقت وشجعت عصبة الأمم المتحدة على دراستها في المدارس والمعاهد ، بتوصية أصدرتها في سنة ١٩٢١

كما دعت منظمـــة اليونســـكو إلى دراســـتها والعمل بها بقـــوة في ســـــنة ١٩٥٥ م [٥١] ، ثم أعقبتها محاولا جادة لإيجاد مثل هذه اللغة المصنوعة [٥٢] كلها باءت بالفشل . قال اللغوي الإنكليزي " لويس " : (ثم استمرت الدعوة إلى خلق لغة عالمية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر و

كثرت المحاولات وتعددت حتى أصبحت في حدود ٣٢١ لغة اقترفها أصحابها أو مبتدعوها ... غير أن معظم هذه المحاولات قد وئدت في مهدها) (٥٣)

من أجل كل ذلك خلق علم اللغة العام ليقنع العالم بخصائص لغوية واحدة تدرس كل اللغات من منظاره ، وتخضع كل اللغات لتنظيراته ، لتمسخ خصائصها وتمحو هوياتها ، ناسيا أو متناسيا أن لكل لغة خصائصها التي لا تشبه غيرها ، وإن استجابت بعضها لعلم اللغة العام ، فلا يمكن أن تستجيب كلها ، وإن سعى هذا العلم لفهم اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها بمنهجه الوصفي ، فقد أدخلنا في متاهات لا أول لها ولا آخر ، وأبعدنا عن التفقه في اللغات بوصفها تعبر عن قومياتها وانتماءاتها .

المبحث الثالث : انتقادات موجهة لعلم اللغة العام ، وما خلفه من ممارسات

ما نود ذكره هنا بعض الانتقادات التي وجهت ونوجهها إلى اللغة العالمية المصطنعة و إلى علم اللغة العام ومنهجه الوصفي الذي استند إليه في الغالب لتحقيق تلك اللغة ، وهي على النحو الآتي :

١ـــ إن إيجاد لغة عامة يتفاهم بها البشر من المحال ، فاختلاف ألسنة البشر أمر واقع جبلنا الله عليه ما دامت الشعوب مختلفة في عاداتها وتقاليدها ، في بيئاتها وجغرافيتها ، في دياناتها و طقوسها ، قال تعالى : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) (٥٤) .

٢ـــ إن سيادة بعض اللغات المستعمرة البلدان المستضعفة وجعلها لغتهم الرسمية ولغة السياسة والإدارة ، لا تدوم طويلا لأنها لم تكن يوما لغتهم الشعبية ، بل تظل تلك البلدان تتكلم بلغاتها ، وإذا نجحت في بعضها فلا يمكن أن تنجح في كلها

٣ــــ لا يمكن للغات المصطنعة أن تصمد أمام اللغات الطبيعية والعريقة المكتملة ، لعدم امتلاكها مقومات البقاء ، ولعدم تلبيتها حاجات المجتمع التي تعاملت مع لغاتها لقرون طويلة .

٤ــــ في عالمنا اليوم أكثر من ثلاثة آلاف لغة ، وكل لغة لها خصائصها ومقوماتها ، وسماتها ، ولا يمكن أن تصمد لغة واحدة أمام هذا الكم الهائل من اللغات . (٥٥) .

٥ــــ ظهر في القرن التاسع عشر في الغرب اتجاه يتناسب وكل لغات البشر يحفظ لهم خصائصها ويحترم خصوصياتها ، ولكنه لم يرق للسياسة النفعية السائدة لأنها لا ترضي طموحهم ، ولا تحقق مطالبهم ، وهو الاتجاه الفيلولوجي ، الذي أسسه " همبولت ١٧٦٧ ــ ١٨٣٥ م " والذي أكد على اللغة بوصفها (خاصية مميزة للأمة أو الجماعة التي تتكلمها) (٥٦) ، وفي ضوء ذلك ربط بين اللغة وجنس المتكلمين بها ، وبحث العلاقة بين الأمة ولغتها ، فظهرت تفسيرات قومية لظواهر لغوية (٥٧) ، فـ (الفيلولوجيا / فقه اللغة) معرفة لحضارة الأمة بنشر نصوصها ثم دراستها (٥٨) وهو في مقابل فقه اللغة عند العرب وبقية الشعوب ، وقد سمي مذهب همبولت اللساني هذا بـ (نظرية رؤية العالَم من خلال اللغة) (٥٩) ، ولكن يبدو أن الأنصار السياسيين لعلم اللغة العام ينظرون إلى العالم بنظرة نفعية ، لا برؤية معرفية ، والذي يمكن معرفة اللغة وكنهها من دون سلخها من هويتها ، وما أعظم عالمنا الجليل ابن جني الذي عرف اللغة بقوله : (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) (٦٠) ، فعرف لنا اللغة في إطارها القومي ، من دون أن يدخلنا في متاهات التنظيرات المختلطة والاصطلاحات المتعددة .

وإذا كان علم اللغة العام في القرن العشرين يمثل دراسة اللغة بالوصف والتصنيف وفي الزمن الذي تعيش فيه ، وفي حالة نطقها وسمعها من أفواه أهلها ، فقد سبقه العرب في دراساتهم تلك ، وتطبيق المنهج الوصفي الذي أشار إليه ،

والقيم البحثية التي حددها ، فاستخدموا المنهج نفسه وشافهوا وسمعوا ورصدوا وسجلوا ووصفوا وخرجوا بنتائج وقواعد أساسية للغة العرب (٦١) ، (إن الفارق الوحيد بين علم اللغة في الدراسات العربية وعلم اللغة في عصرنا الحاضر هو تخصصية الدراسة اللغوية عند العرب وأعني بها اهتـــــمام الباحث بالعربية من بين سائر اللغات ، وعمومية الدراسة اللغوية في الدراسات الحديثة وأعني بها تناول علم اللغة البحث في اللغة التي هي أصوات معبرة عن مفاهيم وأغراض عند البشر من غير تحديد للسان معين أو صنف من الناس ، فبحث علم اللغة الحديث يقوم بنشاط علمي جديد يتخذ موضوعا له هو اللغة) (٦٢) ، فهو لا يدرس اللغة أيضا للكشف عن الكيفية التي يتعلمها الإنسان أو يعلمها أو تعليم هاتين الكيفيتين كما كان سائدا لدى علماء العربية بل وظيفة الباحث اللغوي الحديث بناء على المنهج الذي فرضه علم اللغة المعاصر هو أن يدرس جنس اللغة أي يصفها ويبحث فيها ومن أجل ذاتها (٦٣) .

٦ـــ حاول علم اللغة العام طبع الدراسة اللغوية بطابع العلم ، ومبادئه التجريبية والقيم البحثية ، شأنها في ذلك شأن العلوم الأخرى نحو الفيزياء والكيمياء ومادة اللغة لا تخضع لما تخضع له تلك العلوم التجريبية العلمية ، وإن استعين في درس أصوات اللغة ببعض الآلات والأدوات ، والقوانين اللغوية ليس لها ما للقوانين في العلوم الطبيعية مثلا ومن حتمية وجبرية (٦٤)

٧ـــ أن هذا الاتجاه البحثي الألسني في أوربا لم يبق واحدا من بعد سوسير ، بل توزع على مذاهب ذهنية مختلفة أشبه بفلسفات لا يلتقي بعضها مع بعض في المنهج ولا في التفكير (٦٥) .

٨ـــ كثرة مصطلحات هذه الدراسة وتعددها بشكل يجعل منها أمرا مربكا ، حتى اضطر دارسون إلى وضع معجمات لمصطلحات علم اللغة ، والتي تحتاج إلى مراجعات واســـتدراكات متواصلة ، لزيادتها ، ولاختلاف الدارســين في مفاهيمها (٦٦) ، مما حدا بكثير منهم إلى إطلاق (نداء ملح يستصرخ علماء اللغة

الوصفيين أن يتفقوا على مصطلحات لعلمهم يتسم بالثبات والعمومية ، لكي يصبح ، تناول المادة أمرا سهلا وبخاصة للدارسين المبـــتدئين) [٦٧] ، يقول " ماريو باي : (إنه لاحظ وجود اختلاف في المصطلحات يصل إلى حد ٧٥ % بين علمين مكتوبين على يدي عالمين لغويين وصفيين مشهورين كثيرا ما كانا يتقابلان وجها لوجه ، وعلى الرغم من تناولهما نفس الظواهر والعمليات اللغوية) [٦٨] .

وتكتنف هذه المصطلحات الغموض في مفاهيمها ، ومن المؤكد أن ذلك راجع لكثرتها ، ولطبيعة الفكر المطروح في هذا الدرس [٦٩] ، يقول ماريو باي في هذا الصدد أيضا : (إن عالم اللغة الوصفي لا يعد وحده مذنبا في المجال التطبيقي ، بل يشاركه علماء آخرون في حقول كثيرة مثل علم النفس ، والفلسفة ، وعلم الاجتماع والتربية والإدارة ، وما دام هذا الطابع أمرا فرديا فإنه من الصعب مواجهته أو معالجته بدواء عام شامل) [٧٠] ، والعمل الفردي الذي أشار إليه ماريو باي ، هو عمل المصحح لتلك المسيرة ..

ومع أن علماء اللغة المحدثون متفقون على أن تناولهم دراسة اللغة بمنهج دقيق وطريقة موضوعية توصل إلى أحكام صحيحة بتطبيق مبادئ العلم على اللغة ، كما تطبق مبادئ البحث العلمي على أية دراسة في الكيمياء أو الرياضيات نجد الباحثين قد وقعوا في دراسة اللغة في اختلافات جوهرية ، كاختلافهم في تعريف اللغة والكلمة ، والجملة ، واللسان ، أو غير ذلك من المصطلحات وقد يتناقض بعضهم مع بعض ([٧١]) .

٩ـــ الميل إلى الإبهام والغموض ، وهو اتجاه ظهر لبعض الوقت ، وإذا عجـــز اللغوي عن أن يجعل علـــمه واضحا للمتــعلم أو المتلقي فقد فشـــل في أداء مهمته [٧٢] ، وخرج درســـه عن أن يكون علما . وقد عبر الدكتور مالك المطلبي عن ميل اللغويين المحدثين إلى الغموض وإلى كثرة المصطلحات بـــ (التجويع الثقافي) [٧٣] ، وبـــ (تجويع القارئ) [٧٤] .

١٠ــــ لا يخفي الوصفيون ضيقهم باللغة المكتوبة ، بل يزعم بعضهم أنه لا توجد لغة مكتوبة ، بل (يوجد تقابل بين الكلام الذي يفيد اللغة الحقيقية وبين الكتابة ، واللغة المكتوبة لغة جليلة الشأن لعالم اللغة التاريخي في دراسة الفونولوجيا) (٧٥) ، وقد علق الدكتور البدراوي زهران على ذلك بقوله : (إن الحكومات في جميع أنحاء العالم تحاول أن تقضي على الأمية وإذا كانت الكتابة ينظر إليها على أنها رمز الكلام ، فيجب ألا ننسى أن الكلام في ذاته يعد فقط رمزا للفكر من غير نظر إلى مرتبته العليا أو السفلى ، وأن الدلالة تتأثر بالكتابة كما تتأثر بالكلام) (٧٦) .

١١ــــ تذمُر الوصفيين من زملائهم التاريخيين والجغرافيين ، (الذين يتناولون أمورا أكثر تعلقا بالتطـــبيقات العملية لعلم اللغة في الحاضر والمســـتقبل لتـــعد أمورا ذاتية) (٧٧) ، يقول ماريو باي بهذا الصدد : (وإن هناك مناهج أخرى للدرس اللغوي غير مناهجـــهم ، وإن العلم ليعد علما فقط حينما يظل محتفظا بعقليته المتفتحة ، وحينما يسمح بالمناقشة الحرة ، وإلا فإنه ينتكس ، أي يصبح مجرد قضايا أو أحكام تحكمية لا تستند إلى دليل أو برهان ، بل على مجرد مزاعم غير ثابتة ، إن علم اللغة يجب أن يكون واقعيا لا باحثا فيما وراء الطبيعة) (٧٨) .

١٢ــــ لم تدخل النتائج التي أحرزتها الدراسة الجديدة برامج تدريس اللغات في التعليم العام ، بل بقيت كلاسيكية ، وما تزال اللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية مثلا في معظم المدارس كما كانت تدرس قبلا (٧٩)

١٣ــ انتقد لغويون كون اللغة عند سوسير جامدة لا تتغير ، ولا تخضع للتطوير ، وقد سار على نهجه من بعده بعض تلامذته ، كـــ (فوكوه) البنيوي الرافض للتغير والتطور ، ويرى تسلط النظام اللغوي الجامد ، والآلية الخانقة للإبداعات والقدرات التي منحها الله تعالى للإنسان ، مما دفع بعض الدارسين بالنظر إلى البنيوية على أنها (فلسفة جديدة تسعى إلى الإطاحة بأكثر القيم والمثل التي يتحلى

بها الإنسان و يتعلق بها الجميع ، وتصل في نهاية المطاف للإطاحة بالإنسان نفسه) ([٨٠]) كما وصمت البنيوية بأنها فكر رجعي ، وأنها في خدمة الإمبريالية العالمية ([٨١]) ، مما يجعلنا نطمئن إلى نتائجنا في كون علم اللغة العام نتاج فكر سلطوي ، وسيأتي اليوم ــ وربما قريبا ــ الذي يتراجع فيه ، ويخفت ضوؤه ، ويخبو بريقه

١٤ــ مع أن علم اللغة العام يرى أن ثمة أمورا تشترك بها كل لغات البشر ، بكونها نظاما لغويا واحد ، وأن الاختلاف بينها يكون في خصائص لسانية أخرى غير خصائص اللغة العامة ، نجد أن كثيرا من تلك القضايا التي ادعى أنها تنطبق على كل اللغات ، لا تنطبق واقعا على كل اللغات ، من ذلك على سبيل المثال قضية تحليل المفردات صوتيا على وفق المقاطع ، فكل كلمة من أي لغة كانت يمكن أن تحلل على وفق المقاطع بحسب علم اللغة العام ، وهي تفسر قضايا صوتية كثيرة وردت على صفة مقطعية معينة .

أن التحليل المقطعي من الأمور الشكلية الصورية التي ليست ذات جدوى أو قيمة علمية في أساسيات اللغة ([٨٢]) . إذ أنها لا تظهر قيمة دلالية أو معنوية كما يظهر الميزان الصرفي مثلا في العربية ، ففعلا الأمر جِد من وجد ، وجُد من جاد ، يخضعان لتقطيع صوتي واحد ، والذي لم يميز بين الفعلين في الدلالة ، ولذلك هو إجراء شكلي ، غير مجد في حين أن الميزان الصرفي ، يحدد لنا الأصل وما حذف منه ومن ثم نعرف دلالة كل فعل على أساس ميزانه الصرفي ، فالفعل الأول جِد على وزن عِل والفاء محذوف لأن الأصل وجد حذفت فاؤه ، والآخر جُد على وزن فُل والعين محذوف لأن الأصل جاد ، حذفت عينه ، هذه التفاصيل في الميزان الصرفي هي التي أعانت الدارس أو المتعلم على التوصل إلى دلالة الفعلين ، أما التحليل المقطعي فلم يوصلنا إلا إلى نتيجة شكلية ، لمقاطع معينة قد تشترك فيها جميع اللغات ، فينطبق عليها علم اللغة العام ، أو تختص بها لغة معينة فتخرج عن هذا العام إلى الخاص ، ولنعود بعدها إلى تخصص لغة بعينها ، والخروج عن مبادئ العلم .

والحق أن علماء العربية لم يكونوا غافلين عن التحليل المقطعي الذي سلكه الغرب في القرن التاسع عشر ، والذي أرى أنهم أفادوه منهم بسطوهم المسلح ، وقيمهم النفعية ، ولكن العرب أدركوا أن موقع المقطع هو الدراسات الموسيقية ، أو العروضية ، وربما حتى في تعليم غير العربي للغة العرب لا أكثر ، أما في الدراسات اللغوية بوصفها علما يهتم لأمر اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها ، فهو أمر لا يجدي نفعا ولا يقدم أو يؤخر ، فقد عرف ابن سينا والفارابي معنى المقطع وحدده تحديدا دقيقا قبل الوصفيين ، قال الفارابي في المقطع : (هو مجموع حرف مصوت وحرف غير مصوت) وقال أيضا (هو المـــــركب من حرف مصوت وغير مصوت) (٨٣) كما في مَ ، و ما ، كما ميز بين المقطع القصير والمقطع الطويل ، فقال في القصير : (كل حرف غير مصوت اتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير) (٨٤) ، وقال في الطويل : (كل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه : المقطع الطويل) (٨٥)

ومع أن المقطعية كانت أمرا مفهوما عند علمائنا المتقدمين كالفارابي وابن سينا وغيرهما ، كانوا لا يعيرون هذه الظواهر اهتماما ، ولم يشغلوا أنفسهم بذلك (٨٦) ، لأنها لا تبرز الجانب الدلالي الذي ما قامت الدراسات اللغوية إلا من أجله .

ومن تلك القضايا أيضا تحديد مخارج الأصوات ، فمع حرص علم اللغة العام على وصفها وصفا بعيدا عن المؤثرات الخارجية لأجل أن تدرس لذاتها (٨٧) ، مستعينا بالأجهزة والمختبرات الصوتية تراى نتـــــائجه جاءت مضطربة غير دقيقة ، (ومع أن هذه هي الصورة التي وصل إليها البحث الصوتي المعاصر معتمدا على الأجهزة والمختبرات الصوتية ، فإن معظم الأحكام تتفق مع عمل العرب المسلمين في مخارجها وصفاتها غير أن الاختلاف في صفات بعض هذه الحروف وتحديد مخارجها عند المحدثين لا يزال مضطربا) (٨٨) .

تبقى الانتقادات كثيرة جدا لا يستوعبها البحث الذي بين أيدينا ، كلها تصب في كون علم اللغة العام اسما على غير مسمى بوصفه وتصنيفه .

الخاتمة :

ليس بالضرورة أن تأتي الخاتمة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث ، ولا سيما إذا كان كل البحث نتيجة ، أو إذا كانت كل جزئية من جزئياته مهمة ، ولا يسعنا هنا إلا القول أنه بعد كل ما عرضناه من نظريات متكلفة سبقت ظهور علم اللغة العام والإعلان عنه ، ومن ممارسات غير سوية سوغها الدرس اللغوي الغربي ، ومن انتقادات كثيرة وحقيقية ، لم يسلم منها ، نصل إلى أن علم اللغة العام لم تكن مسيرته في مراحله المختلفة مسيرة طبيعية في نشوئه وتطوره وانتشاره ، كما هي الدراسات اللغوية في كل بقاع الأرض وعلى مر العصور ، والتي تكون نتاج حركة متتالية من الدرس المتأني الرصين ، و ثمرة جهود تصب كلها في محاولة فهم الذات ، واللغة التي تترجم كنهها ، بعيدا عن الدوافع الخارجية ، والإملاءات السياسية النفعية التي عاش في كنفها العلم المزعوم ، وبقانون الغلبة للأقوى ، التي تفرض سير اللغات الأخرى في ركاب اللغة العالمية شاءت م أبت ، فخرج علم اللغة العام مخلوقا مشوها ، ووليدا ناقصا ، لا ينفع معه التقويم ، أو التجميل ، إلا بالتخلي عن فكرة العالمية تلك ، والعودة إلى احترام كل لغة وما تحمل من خصائص وسمات .

وبعد كل هذا أيضا أرى أن أغلب الدراسات اللغوية الحديثة التي قدمت في أقسام اللغة العربية ، في كلياتنا وجامعاتنا ، والتي تتناول ظواهر لغوية معينة في ظل علم اللغة العام ، لا تستطيع الانفلات بشكل كلي من فقه اللغة ، وتبقى اللغة القومية هي من يحدد منهج دراستها ، وهذا ما يؤكد نظرية همبولت في اتجاهه الفيلولوجي والذي يؤكد على أن اللغة لا يمكن أن تدرس إلا في إطارها القومي .

من هنا أقدم دعوة للدارسين العرب إلى إعادة النظر في علم اللغة العام ، وجعل كل قضاياه في ميزان فقه اللغة ، وتأصيلها ، بالرجوع إلى جذورها القومية العربية وغير العربية ، لنفهم تلك القضايا في إطارها القومي والجغرافي والتاريخي ، لا أن تفصل عن كل هذا ، أو أن ينظر فقط على أن اللغة نتاج سلوك بشري عام ، لتكون دراستنا أكثر دقة ، وأقرب إلى العلمية المطلوبة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

هوامش البحث :

(١) ينظر : مباحث في علم اللغة واللسانيات : ٤٥.
(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٨ ، ٧٦ .
(٣) ينظر : مباحث في علم اللغة العام : ٧٦ .
(٤) ينظر : علم اللغة العام : ١٩ .
(٥) ينظر : المصدر نفسه : ١٩ .
(٦) ينظر: المصدر نفسه : ١٩ .
(٧) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠ .
(٨) ينظر : المصدر نفسه : ٢٢ .
(٩) علم اللغة ، السعران : ٥١ .
(١٠) ينظر : علم اللغة العام : ٣ .
(١١) المصدر نفسه : ٣ .
(١٢) المصدر نفسه : ٩ .
(١٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٥ ـ ١٦ .
(١٤) مباحث في علم اللغة واللسانيات : ٣٩ .
(١٥) ينظر : العربية والأمن اللغوي ، نظرة معاصرة : ٢٠ .
(١٦) ينظر : المصدر نفسه : ٣٩ ـ ٤٠ .
(١٧) العربية والأمن اللغوي نظرة معاصرة : ٣٩ ـ ٤٠ .
(١٨) ينظر :الجنس الآري : https://www.google.iq
(١٩) ينظر : المصدر نفسه :
(٢٠) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب : ٢٩٤ .
(٢١) ينظر : المصدر نفسه : ٢٩٧ . ،
(٢٢) ينظر : علم اللغة العربية : ١٢٩ .
(٢٣) ينظر : مباحث في علم اللغة واللسانيات : ٢٠٧.
(٢٤) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث : ١٨١ ، ومدخل إلى علم اللسان ، القرن التاسع عشر عصر الدراسات المقارنة والتاريخية : ٩ ، والبحث اللغوي في دراسة المستشرقين الألمان : ٢٠ ، العربية أنموذجا .
(٢٥) ينظر : فلسفة اللغة : ١٨ .
(٢٦) بدايات علم اللغة الحديث في الغرب : http://www.startimes.com
(٢٧) المصدر نفسه .
(٢٨) الصّوتيات عند ابن جني في ضَوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة ، عبد الفتاح المصري http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_345.doc
(٢٩) المصدر نفسه .

(٣٠) علم الأصوات عند العرب ، محمد حسان الطيان ، الجمهورية العربية السورية ، وزارة الأوقاف ، مديرية التوجيه والإرشاد ، دمشق ، ٢٠٠٨ م.
http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_669.doc

([٣١]) ينظر : الصّوتيات عند ابن جني في ضَوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة ، عبد الفتاح المصري
http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_345.doc
([٣٢]) ينظر : الاستشراق :
([٣٣]) ينظر : مباحث في علم الغة واللسانيات : ١٨ ـ ١٩ .
([٣٤]) البحث اللغوي : ١٠٤ .
([٣٥]) تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي : ٤٥ .
([٣٦]) الاستشراق ، المفاهيم الغربية للشرق : ٢١١ ـ ١١٢ .
([٣٧]) ينظر : تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي : ١٤ .
([٣٨]) الإحكام في أصول الأحكام : ١/ ٣١ .
([٣٩]) ينظر :علم اللغة العام : ٦.
([٤٠]) ينظر : ملامح من تاريخ اللغة العربية : ٢٦٨ .
([٤١]) اللغة العربية بين الفصحى والعالمية : ٢١ ـ ٢٣ .
([٤٢]) ملامح من تاريخ اللغة العربية : ٢٦٧ .
([٤٣]) المصدر نفسه : ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
([٤٤]) ينظر : اللغة العربية عبر القرون : ٧١ ،
([٤٥]) ينظر : في غياب السلطة الفكرية : ١٢٠ ـ ١٢١ .
([٤٦]) ينظر : اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ٩٥ ـ ٩٨ ، وينظر : البحث اللغوي : ٩٧ .
([٤٧]) ينظر : اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ٩٨ .
([٤٨]) ينظر : ملامح من تاريخ اللغة العربية : ٢٦٩ .
([٤٩]) ينظر : في غياب السلطة الفكرية : ٢٠ .
([٥٠]) هكذا ورد اسمه في كتاب العربية والأمن اللغوي : وفي الموسوعة الحرة ذكر بأن اسمه هو لودفيغ أليعزر زامنهوف https://ar.wikipedia.org/wiki
([٥١]) اللغة بين القومية والعالمية : ٣١١ ـ ٣١٢ .
([٥٢]) المصدر نفسه: ٣٢١ .
([٥٣]) المصدر نفسه: ٣١ـ ٣١١.
([٥٤]) الروم : ٢٠ ـ ٢١ .
([٥٥]) ينظر : علم اللغة العربية : ٢٢ .
([٥٦]) موجز تاريخ علم اللغة العام : ٢٨٦ .
([٥٧]) ينظر : موجز تاريخ علم اللغة : ٢٨١ .
([٥٨]) ينظر : البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان ، العربية أنموذجا : ٢٠ ـ ٢١ .
([٥٩]) علم اللغة الحديث بدايات وتطور : http://www.lissaniat.net
([٦٠]) المصدر نفسه .
([٦١]) ينظر : الألسنية والبحث اللغوي العربي : ٧ ، بحث منشور في مجلة الذخائر ، العدد ١ السنة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م.
([٦٢]) ينظر : مباحث في علم اللغة واللسانيات : ١٣ .
([٦٣]) ينظر : البنيوية في اللسانيات : ١/ ٧٠.
([٦٤]) ينظر : مباحث في علم اللغة واللسانيات : ١٥ .
([٦٥]) ينظر : مشكلة البنية : ١.

(٦٦) ينظر : محاضرات في علم اللغة العام : ١/ ٤٢ ـ ٤٣ .
(٦٧) ينظر : المصدر نفسه : ٤٣ .
(٦٨) المصدر نفسه : ٤٣ .
(٦٩) ينظر : المصدر نفسه : ٤٣ .
(٧٠) المصدر نفسه : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٧١) ينظر : المصدر نفسه :: ١٥ .
(٧٢) محاضرات في علم اللغة العام ٤٤ .
(٧٣) علم اللغة العام : ١٧ .
(٧٤) المصدر نفسه :: ١٨ .
(٧٥) محاضرات في علم اللغة العام : ٤٤ .
(٧٦) المصدر نفسه : ٤٥ .
(٧٧) المصدر نفسه : ٤٥ .
(٧٨) المصدر نفسه : ٤٥ .
(٧٩) ينظر : مشكلات في التأليف : ١٣ .
(٨٠) البنـيوية غياب الذات : ١٧ ، مقال ، لبشارة صارحي ، مجلة فصول ، ع / ٦ ـ ٧ ، ١٩٨٠ .
(٨١) ينظر : المصدر نفسه : ١٧ ،
(٨٢) ينظر : مباحث علم اللغة واللسانيات : ٨٩ .
(٨٣) المصدر نفسه ٨٩ ، نقلا عن كتاب شرح العبارة : ٤٩ ـ ٥٠ .
(٨٤) المصدر نفسه ٨٩ ، نقلا عن كتاب الموسيقى الكبير : ١٠٧٤ .
(٨٥) المصدر نفسه ٨٩ ، نقلا عن كتاب الموسيقى الكبير : ١٠٧٤ .
(٨٦) ينظر : مباحث في علم اللغة واللسانيات : ٩١ .
(٨٧) ينظر : المصدر نفسه : ٤٤ .
(٨٨) المصدر نفسه : ٧٣ .

المصادر :

القرآن الكريم .
١. الإحكام في أصول الأحكام : ١/ ٣١ ، أبن حزم الأندلسي ، مطبعة الإمام بمصر ، ط٢ ، د.ت .
٢. الاستشراق ، المفاهيم الغربية للشرق ، إدوار سعيد ، ترجمة : د. محمد العناني ، دار بنجوين العالمية ، ١٩٩٥ .
٣. الألسنية والبحث اللغوي العربي : ٧ ، بحث منشور في مجلة الذخائر ، العدد ١ السنة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م.
٤. البنيوية غياب الذات : ١٧ ، مقال ، لبشارة صارحي ، مجلة فصول ، ع / ٦ ـ ٧ ، ١٩٨٠ .
٥. البنيوية في اللسانيات ، د. محمد الحناش ، دار البيضاء ، المغرب .
٦. تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، عبد الجبار ناجي ، الموسوعة الصغيرة ، منشورات دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ م.
٧. البحث اللغوي في دراسة المستشرقين الألمان ، العربية أنموذجا ، عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني ، رسالة قدمها إلى مجلس كلية الآداب في الكوفة ، بإشراف : أ.م.د. محمد عبد الزهرة غافل الشريفي ، ٢٠١٠م.
٨. العربية والأمن اللغوي نظرة معاصرة ، د.زهير غازي زاهد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٢ م .
٩. علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران دار النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان ، د. ت .
١٠. علم اللغة العام ، فرديناند دي سوسور ، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي : د. مالك يوسف المطلبي ، آفاق عربية ، ١٩٨٥ م .
١١. علم اللغة العربية ، د. محمود فهمي حجازي ، وكالة المطبوعات ، كويت ، ١٩٧٣ م .
١٢. فلسفة اللغة : ١٨ ، كمال يوسف الحاج ، بيروت ، د.ت .
١٣. في غياب السلطة الفكرية ، أبو زيدان السعدي ، منشورات دار المعارف ، تونس ، ١٩٩٥ م.
١٤. اللغة العربية بين الفصحى والعامية ، خالد مفلح عيسى ، الدار الجماهيرية للنشر ، ١٩٨٧ م ، وينظر : البحث اللغوي : ٩٧ ، د. محمود فهمي حجازي ، مكتبة غريب ، ١٩٩٣ م .
١٥. اللغة بين القومية والعالمية ، إبراهيم أنيس ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ م .
١٦. اللغة العربية عبر القرون ، د. محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة بالقاهرة ، ١٩٧٨ م.
١٧. ما وراء اللغة : ١٢٢ ، د. عبد السلام المسدي ، مؤسسة عبد الكريم ، تونس ، ١٩٩٤ م .
١٨. مباحث في علم اللغة واللسانيات ، أ.د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٢م .

١٩. محاضرات في علم اللغة العام ، أ.د. البدراوي زهران ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ط١ ٢٠٠٨ م .
٢٠. مدخل إلى علم اللسان ، القرن التاسع عشر عصر الدراسات المقارنة والتاريخية ، عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة اللسانيات ، الجزائر ، مجلد : ٢ ، ١٩٧٢م
٢١. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧م .
٢٢. مشكلة البنية ، د. زكريا إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٣ م.
٢٣. ملامح من تاريخ اللغة العربية ، د. أحمد نصيف الجنابي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشسد للنشر ، ١٩٨١ م.
٢٤. موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ر.هـ. روبنز ، ترجمة : أحمد عوض ، الكويت ١٩٩٧ م .

مصادر الأنترنيت :

١. الأسبيرانتو https://ar.wikipedia.org/wiki .
٢. بدايات علم اللغة الحديث في الغرب : http://www.startimes.com
٣. الجنس الآري ، https://www.google.iq
٤. **الصّوتيات عند ابن جني في ضَوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة ، عبد الفتاح المصري**
http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_345.doc
٥. علم الأصوات عند العرب : ، محمد حسان الطيان ، الجمهورية العربية السورية ، وزارة الأوقاف ، مديرية التوجيه والإرشاد ، دمشق ، ٢٠٠٨ م.
http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_669.doc
٦. **علم اللغة الحديث بدايات وتطور : http://www.lissaniat.net**
٧. مبادئ في اللسانيات العامة ، الجزء الأول ، أ.ع.ك. خليل ، المركز الجامعي ، ميلة ، http://wwvv.almountadaalarabi.com/t22-topic